الفصل الخامس

براءة سلمان رضي الله عنه
حـوارات عَـبْـر الزمـان

- عن طبيعة شخصية سلمان
- براءة سلمان
- سلمان ليس إلهًا متجسِدا
- أمير المدائن (طيسفون)
- الطائفة المندائية
- سلمان ليس أقنومًا
- سلمان ليس هو الباب
- الغلو
- خاموس الخلق
- أثر الأديان السابقة على الإسلام فى الغلو
- فكرة الألفية
- نصوص غريبة
- تسابيح النجاة.

أدَّت نشأة سلمان الأولى فى بيوت الزرادشتية، ثم تحوله إلى المسيحية ومعايشته للرهبان، ثم عمله بعد ذلك مع يهود شبه الجزيرة العربية ، ثم ـ أخيراً ـ اطمئنانه إلى الدين الإسلامى الحنيف، وقيامه بدور مهم خاصة فى غزوة الخندق . أدَّى كل هذا إلى تحلُّق كثير من الأساطير حَوله، خاصة من أصحاب البدع والأفكار الغريبة، وأفكار الغنوص، أو العرفان الباطنى الغيبى .

أنت برىء ياسلمان ـ رضى الله عنك ـ من كلِّ هذا، فأنت فى رحاب ربك ، وكنت على الأرض بشراً ممَّن خلق . كنتَ طاهراً فى حياتك فأسموك سلمان باك، و(باك) كلمة فارسية تعنى (الطاهر) .

لقد اتَّجه القائلون بالغنوص (العرفان الباطنى أو الغيبى) إلى شرق نهر الفرات وتوغَّلوا بعيداً فى الأرض الإيرانية بعد انتشار المسيحية . وكان سلمان أميراً للمدائن (طيسفون) بعد الفتح العربى الإسلامى للعراق ، وساعد هذا على زيادة الأفكار الباطنية (الغَيبية العرفانية) حول شخصية سلمان ؛ لأنَّ المدائن (طيسفون) كان لها ـ قبل الإسلام ـ مكانة كبيرة لدى القائلين بالغنوص (العرفان الباطنى) ، ولازالت طائفة غنوصية ذات عمق تاريخى تعيش ـ حتى الآن ـ فى هذه الأنحاء من العراق ، هى الطائفة المندائية التى درسها الباحث هالم فى كتابه [الغنوصية فى الإسلام، ص٥] .

آمنتَ يا سلمان بأنَّ الله واحد أحد . ولم تدخل فى متاهات . لم تقل كما زعم بعض أهل الغنوص بأن الإله الأوَّل غير الله الصانع (الخالق) لم تقل يا سلمان : إن اللّه له أقانيم كثيرة . إن لله فيوضات وليس أقانيم . إنَّ الله يا سلمان ـ سبحانه وتعالى ـ ليس مشكَّلاً من رذاذ من الأقانيم والفيوضات . أنت تعلم ذلك جيداً يا سلمان . من خلال القرآن الذى تحفظه ، فكيف إذن جعلوك أقنومًا ؟! نستغفر الله يا سلمان أنت لم تقل لهم ذلك ، ولو كُنتَ قلته لعلمه الله ، فلما توفَّاك رب العالمين كان هو ـ سبحانه ـ الرَّقيب عليهم .

قالوا يا سلمان : إن الإسلام الفارسى أنتَ أساسه . وهل هناك إسلام فارسى وآخر غير فارسى ؟ الإسلام إسلام فى كلِّ الأحوال . الله فيه واحد أحد ، ونبيّه محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء فلا نبىَّ بعده ، وإنما مجتهدون ومصلحون عاملون ومتعبدون لا يفصلون بين العلم والعمل .

لا تناسخ يا سلمان ، هكذا علَّمك دينك ، فمن قال لهم : إن روح الله تَقَمَّصتك ، نستعيذ بالله يا سلمان .

هل قلت لهم إنَّك أنت الباب «الذى يقود إلى معرفة ألوهيّة علىٍّ وسلالته» [هالم : الغنوصية فى الإسلام ، ص ٧٧ منشورات الجمل] . نعوذ بالله يا سلمان ونبرأ من هذا برئتَ وبرئتُ من قول كهذا كما برئ قبلى شاعر اسمه إسحاق بن سويد العدوى :

برئتُ من قــوم إذا ذكــروا عليّــا
يردُّون السَّــلام على الســحــاب
رســول الله والصــديق حــبــا
به أرجــو غــدًا حُــسنَ الصّــواب

أقُلت لهم يا سلمان إنك « خاموس الخَلْق » ؟ هل قلت لهم يا سلمان إنّك أمير الأرواح ؟ هل أنت يا سلمان إله متجسّد ؟ نستغفر الله يا سلمان . لكننا نحمدُ الله أنّ كل هذه الأفكار بدأت تتساقط ـ شيئًا ما ـ مع تقدم العلم البحت والتطبيقى وانشغال المسلمين به للدفاع عن دينهم .

هل أنت آدم الثانى الذى أمر الله الملائكة بالسجود لك ؟ ما هذا الإسفاف يا سلمان؟! أنت لم تقله ، لكنهم قالوه بعدك ، ونحن نبرأ مما يقولون . لماذا يشغل المسلمون أنفسهم بأمور غير مفهومة ؟ أفلا يتدبرون الإبل كيف خُلقت فيبرعون فى علوم الحياة ؟ أفلا يتدبرون السماء كيف رُفعت فيبرعون فى علوم الفيزياء ؟ أفلا يتدبرون فى خلق الله فيبرعون فى شتى العلوم ؟ أليس هذا أجدى من الضَّياع فى المتاهات؟! .

حتى الألفية ـ ياسلمان ـ التى قال اليهود والنصارى : إنها حَدَث أساسى فى هذا العالم ، حتى هذه الألفية التى يتوقّع المسيحيون ـ كل مطلع ألفية ـ نزول المسيح عليه السلام فيها ويتوقّع اليهود نزول مسيح آخر غير المسيح بن مريم ، ليملأ الدنيا عدلاً . . حتى

هذه الألفية أقحموك فيها يا سلمان . آه يا سلمان كم من الأكاذيب تُقَص باسمك . مع أنَّك يا سلمان صحابى طاهر رضى الله عنك .

لنقرأ معًا : «وظهر فى نهاية هذه الألفية الملك تعالى جل جلاله (يقصدون الله سبحانه) من حجاب سلمان (المقصود ـ أستغفر الله ـ أنّ الله سبحانه كان محجوبًا من سلمان) مع كل الخاصين والخالصين والنقباء والنجباء والمعترضين وتكلَّم إلى الكفار والمنبوذين بصوت مرتفع : إنّ هؤلاء هنا هم مخلوقاتى . اسجدوا لهم . . . فشهد الخاصون والمخلصون لله تعالى . . . وكان كل الآخرين متشككين وعصت منازل الكافرين ، ألستَ سلمان العظيم؟ ، ووقفوا فى مواجهة الملك تعالى مرة أخرى ، وأشعلوا الحرب من جديد ، والجدال الذى كانوا قد خاضوه من قبل ذلك . . فأمر الملك تعالى سلمان : أنزل هؤلاء المخلوقات من البحر النارى اللون ، وانزع عنهم النور العَقيقى اللّون وابسطه من تحتهم . فقذف بهم سلمان إلى تحت الحجاب النارى اللون ، وانتزع منهم النور العقيقى اللون . . . وقال الملك تعالى : اسجدوا كلكم لوصيى (سلمان) الذى هو يدى اليمنى . . »

ما هذا الغلو يا سلمان ؟ أقُلت لهم هذا ؟ أنت برىء من هذا [عن النص الكامل راجع هالم : الغنوصية فى الإسلام ، ص ١١٥] . لنقرأ مرة أخرى : «فاستحوذ الغضب على الملك تعالى وأمر سلمان أن يرمى المخلوقات من البحر الأخضر ، وانتزع منهم اللباس البنفسجى اللون وبسطه من تحتهم وجعله أرضًا تحت أقدامهم . وخلق (أى سلمان) منه البحر البنفسجى وزيَّنه بألف ألف روح ونور بجبال من البلور وأنهار متدفّقة وسمّاه الفردوس وهو الجنة الرّابعة . ثلاثة ديوانات من فوقهم : البحر الياقوتى اللون ، وجنة دار الجلال ، والبحر النارى اللون ، وجنة دار الملك ، والبحر الزَّبرجدى الأخضر كجنة دار الخلد ، وتسمى الديوانات الثلاثة التى من تحتهم بدار الملك ، وجنات عدن ، وجنات المأوى ، والبحر الشمسى اللون هو دار الملك ، والبحر القمرى اللون هو جنة جنات المأوى والبحر الأزرق هو جنات عدن . . . فسلمان هو القدرة . . » [ص١١٧] .

من أين أتوا بهذا الكلام يا سلمان . . عزاؤنا أنّ هذه النغمة تخف الآن ، والغريب أنَّ القائلين بهذا يستشهدون بآيات قرآنية يخرجونها من سياقها ، ويفسِّرونها تفسيرًا باطنيًا . لاشك أنَّ هذه الأفكار فى طريقها للزوال ، ولاشكَّ أنَّ سلمان منها براء . ولاشك أن لقاءات متوالية بين السنة وبعض الشيعة ممن يقولون بهذه الأفكار ستؤدى إلى توحيد الأفكار . ولاشكّ أنَّ الغُلُو فى الأديان كلها فى طريقه للزوال . والمؤكَّد أن كثيرًا جدًا من هذه الأفكار دخل إلى الإسلام من الأديان السَّابقة عليه .

تسابيح النجاة

ألهمنى القُدرة يا ربِّ.
أن أزرع أرضًا.
أن أبنى بيتًا.
أن أرعى غنمًا.
أن أبنى مصنعًا.
أن أربّى طفلاً.
أن أعمِّر كونك.
أمّا أنت سبحانك،
فأنت متعال سام،
وأنت قريبٌ أيضًا.
قريب يجيب دعوة الداعى إذا دعاه،
لم تتقمّص ياربّ أحدًا،
لم تتجسَّد،
لم تتلبَّس سلمان.
ولا غير سلمان.
ولو فتح هذا الباب،
لضللنا السبيل.
ليس سلمان بَابَك،
فباب الوصول إليك هو التقوى والعمل الصالح
يا رب!

اجعل تسبيحى لك عكوفًا فى مَعمل كيمياء .
وتفحصًا للسماء عبر العدسات المكبّرة .
وتأملاً فى جسم الإنسان .
وفى أنفسنا فنحن ـ بفضلك ـ مبصرون .
يا ربّ!
أنت القادر .
مكنّى من إعداد القوَّة ،
أدافع عن نفسى .
أدافع عن ابنى .
وأدافع ـ قبل ذلك ـ عن دينى .
أعنّى ـ يارب ـ للدفاع .
لن أهجم .
لن أعتدى .
لن أكون من الخاسرين .
فالعلم أمامى والنّور .
فَلمَ أجنح للخيال؟ .
تقدُّم العلم صار أغرب من الخيال .
فلِمَ أجنح للخيال ؟
يا رب!
أحدِّث أحد عبيدك فى أقصى المعمورة ،
أحدثه وأرى الصورة ،
وكأنه فى أحضانى .
فَلم يستغربون ـ الآن ـ أنك سامٍ وقريب؟! .
لِمَ يستغربون أنك تعاليت؟! .
وأنك أقرب إليهم من حبل الوريد .
أنتَ معى .

أنت فى كل مكان .

فليس من الضرورى أن أتصورك قد تجسّدت فى سلمان أو غير سلمان .

ليس من الضرورى ذلك .

فأنا أحسّك .

أنا أعرفك .

فأنت أقرب إلىَّ من حبل الوريد .

وأنتَ يارب لم تُشهد أحدًا خَلقى .

يا رب ،

آتنى القُدرة أن أحسّ بك وأعقلك .

هكذا يوحِّد قلبى .

هكذا ينبض عقلى

دون حاجة إلى فلسفة .

دون حاجة إلى أكاذيب .

اللهم آتنى إيمانًا كإيمان العجائز .

حتى أتفرَّغ للحقل .

حى أتفرغ للمصنع .

حتى أتفرغ لمن أنجبت .

فتفرُّغى لهذا عبادة .

واللقمة أضعها فى فم زوجى صدقة .

وتنظيف الطريق صدقة .

فالرجل الذى أزاح غصن شجرة من الطريق شكرت له وغفرت

سبحانك .

أنتَ كما وصفت نفسك لا أزيد .

لك يد تليق بجلالك .

ولك عين تليق بجلالك .

ولك أذن تليق بجلالك .

أنت سميع بصير .

بطريقة تليق بجلالك .

لاأدرى كيف هذا ؟

لكننى على يقين أنه حق .

يا حق .

سبحانك ، يارب .

لم أعد فى حاجة لأقنوم يخرج منِّى لأحدث وأرى صديقًا فى أقصى المعمورة .

وربما غدًا أو بعد غد قد يمكِّننى العلم ـ بفضلك ـ من لمسه ومعانقته .

فهل أنت جلّ جلالك فى حاجة إلى أقنوم أو أقانيم لتعلم وترى؟!

سبحانك .

لست فى حاجة أن يكون سلمان أقنومًا .

فأنت القادر على كل شىء .

من تصدَّى لك ـ سبحانك ـ عندما أمتَّ سلمان؟ .

ومن يتصدى لك ـ سبحانك ـ لو أردت أن تهلك من فى الأرض جميعًا؟

سبحانك يا حق .

سأل نبيك الكريم جاريةً :

أين ربك يا جارية ؟

قالت : هو فى السماء .

قال النبى الكريم :

«دعوها فهى مؤمنة» .

هذا يكفى ربنا .

يكفينى أنك سميع بصير .

لأتقن زراعتى للحقل .

وأتقن صنعتى .

وأسبِّحك فى معملى .

فأنت الحق .

تُحيط بكل شيء.

ولايحيط بك أحد.

سبحانك.

وَسع كرسيك السماوات والأرض.

فمن أحاط بالسماوات،

حتى يُدرك عظمة كرسيك؟

إنك ـ يا ألله ـ تتلطَّف معنا.

تضرب المثل.

فأنت محيط بكل شيء.

لكن من ذا الذى يحيط بك...

سبحانك.

أعنَّا أن تسجد قلوبنا لك.

تسجد لك دَوْمًا.

ونحن نزرع أرضنا.

ونبنى مصانعنا.

ونعكف فى معاملنا.

فكل هذا عبادة لك.

سبحانك...

* * *